

- نظرية المحاكاة

ظهرت نظرية المحاكاة -أول نظرية في الأدب- في القرن الرابع قبل الميلاد وقد صاغ مبادئها الفيلسوف أفلاطون ومن بعده تلميذه أرسطو... فغاية الشعر عند هوميروس هي الإمتاع الذي يولده نوع من السحر، أما هزيود فيرى أن وظيفة الشعر هي التعليم أو نقل رسالة سماوية، والحقيقة أن الصراع بين الشعر والفلسفة كان منذ القدم منذ القرن السادس قبل الميلاد، حيث بدأ هذا الصراع بنقد الشعر والدفاع عنه على أساس أخلاقي، فالشعر مجاز يحجب الحقائق العلمية والأخلاقية...¹

تدل كلمة: "محاكاة) في معناها اللغوي على التقليد والاحتذاء، وتتضمن معنى البحث عن الأفضل، لأن الأشياء التي تستحق أن نحاكيها هي الأفضل والأكمل عادة"².

يرى أفلاطون في هذه النظرية أن (كل الفنون قائمة على التقليد (محاكاة لمحاكاة) وينطلق هذا من إيمانه واستناده إلى الفلسفة المثالية التي ترى أن الوعي أسبق في الوجود من المادة، لذلك يرى أن الكون مقسم إلى عالم مثالي وعالم محسوس طبيعي مادي، والعالم المثالي يتضمن الحقائق المطلقة والأفكار الخالصة والمفاهيم الصافية النقية، أما العالم الطبيعي أو عالم الموجودات - بكل ما يحتويه من أشياء وأشجار وأنهار وأدب ولغة...- مجرد صورة

¹ ينظر د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص19

² د أحمد العدوانى، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية
https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

مشوهة ومزيفة عن عالم المثل الأول الذي خلقه الله، بتعبير آخر إن العالم الطبيعي محاكاة لعالم المثل والأفكار الخالصة لذلك فهو ناقص ومزيف وزائل، فالأشجار المتعددة في العالم الطبيعي مجرد محاكاة لفكرة الشجرة الموجودة في عالم المثل، وتعدد الأشجار في العالم الطبيعي علامة على عدم تطابقها مع تلك الفكرة وعلامة على انها ناقصة ومشوهة، والفنان أو الشاعر يحاكي الطبيعي المحسوس فيصبح عمله محاكاة لما هو محاكاة أصلا، وبالتالي فهو يبتعد عن الحقيقة بعدا شديدا)³.

يمكننا أن نلخص هذه النظرية في النقاط الآتية:

1. " تحدث أفلاطون (347 ق م) عن الشعر في كتاباته التي جاءت في شكل محاورات

مثل (ايون، الجمهورية) التي لم يكتبها في الأدب بشكل مباشر بل في الفكر والفلسفة وخصوصا في جمهوريته المثالية التي يصنف فيها الناس ويحدد وظائفهم فيها فكان الحديث عن الأدب والفن والشعر ودوره بشكل عرضي غير مقصور في حد ذاته.

2. يرى افلاطون أن الفنون قائمة على التقليد لأنه ينطلق من فلسفة مثالية ترى أن

الوجود مقسم على عالم المثل وعالم المحسوسات، هذا الأخير الذي نعيش فيه ما ه إلا صورة مشوهة للعالم المثالي الأول الذي خلقه الله في أحسن صورة ويعطي مثال

³ د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص ص19.20

الشجرة في الطبيعة دليلاً على نقصها، أما حين يصورها الشاعر فتكون محاكاة للمحاكاة.

3. يشبه أفلاطون عمل الشاعر بالمرآة التي تقدم صورة فوتوغرافية حرفية للواقع وبذلك فهو يقدم لنا صورة مزيفة، أما إذا حرف في تلك الصورة بزيادة أو نقص فهو كاذب. إذن فعمل الشاعر ليس له قيمة أو فائدة لأن ما نحتاجه هو الحقيقة في الأصل، وليس الصورة القائمة على المحاكاة.

4. لا يمكن فهم آراء أفلاطون إلا إذا أدركنا أنه ينطلق من منطلق فلسفي فكري عقلائي، فالشاعر في نظره يتعامل مع الأشياء عاطفياً ومن ثمة فهو بعيد عن استخدام العقل وبالتالي بعيد عن الحقيقة.

5. رفض أفلاطون الشعر والفن لأنه لا يعالج الحقيقة بل يكتفي بتمثيل معطيات الحواس التي هي طمس للحقيقة بثلاث درجات، فالحقيقة لا تكمن عند الشعراء الذين يخاطبون العاطفة بل عند الفلاسفة العقل.

6. إدانة أفلاطون للشعراء من خلال مصدر الإبداع المتمثل في الإلهام عن ربة الشعر ومن ثمة فالشعراء يقذفون بما يفيد وما لا يفيد الجمهور على حد سواء، وبذلك لا يمكن اعتبارهم مرشدين للسلوك والأخلاق، فقد أدان الشعر من منطلق الأخلاق والحقيقة، ورفض فكرة الفن للفن ونادى بالأدب الملتزم مركزاً على وظيفة الأدب.

7. قَبِلَ أفلاطون بعض أنواع الشعر الملحمي والديني والذي يمجّد ابطال الآلهة والعظماء، وأشترط عدم تعارض قصائدهم مع قيم الخير وأن يطلع حراس الفضيلة على قصائدهم كي يقبلها في مدينته الفاضلة⁴.

يعد أفلاطون أول من ميز بين النقد الأخلاقي والنقد الجمالي (كما اهتم بالنقد الأخلاقي أي بتأثير الفن والأدب على سلوك المواطنين، وقد اعتبر هذا التأثير غير صالح وغير خير بشكل دائم، لذلك اهتم بطرد الشعراء من جمهوريته أو على الأقل بضبط أعمالهم ومراقبتها... لم يعط للشاعر مكانة كرجل الحكومة ورجل القانون)⁵

المحاكاة عند أرسطو:

يمكننا القول بأن آراء أفلاطون لم تكن لها قيمة كبيرة في حد ذاتها وإنما تكمن قيمتها بما أفرزه البحث المعمق من تلميذه أرسطو، فقد قامت نظرية المحاكاة عند أرسطو، نلخصها في نقاط هامة هي:

1. (يمثل أرسطو (230 ق م) العمود الثاني في النقد اليوناني وذلك من خلال تأليفه لكتاب (فن الشعر) كأول كتاب نقدي حيث حمله ردوده على أستاذه أفلاطون، مثل هذا الكتاب قطبا في النقد الأوربي وخاصة الكلاسيكي منه، وقد تُرجم إلى العربية في القرن الثالث وكان محل اهتمام من الفلاسفة العرب والنقاد.

⁴ ينظر، د أحمد العدوانى، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية
https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

⁵ د شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ص 27

2. ارتبطت نظرية المحاكاة عند أرسطو أكثر منها عند أفلاطون، فقد أَلَّفَ أرسطو قاصدا الكتابة عن الأدب متبعا منهج الاستقراء والوصف ولس عرضا كأستاذه أفلاطون الذي كانت آراءه أقرب إلى التأمّلات.

3. الشعر شكل من أشكال المحاكاة حيث يرى أرسطو أن الشعر محاكاة ويمنح

مصطلح المحاكاة مفهوما جديدا، فإذا كان أفلاطون قد عمم المحاكاة على كل

شيء في الواقع فجعله محاكاة للمحاكاة غير أن أرسطو قصر هذا المفهوم على

الفنون فقط حيث رفض أرسطو فكرة أن الفن مثل المرآة ينقل الأشياء حرفيا

4. يرى أرسطو بأن الفنان حين يحاكي فإنه يتصرف في المنقول بل إنه يحاكي ما هو

كائن وما يمكن أن يكون احتمالا، فحين يرسم الرسام منظرا للطبيعة لا يجب أن

ينقله كما هو بل عليه ان يحاكيه ويرسمه كأفضل ما يمكن أن يكون، فالطبيعة

ناقصة والفن يتم ذلك النقص، إذن فالشعر مثالي وليس نسخة طبق الأصل.

5. ما يصنع الشعر عند أرسطو ليس الشعر والموسيقى إنما عنصر المحاكاة العام

محاكاة ما يمكن أن يقع وليس محاكاة ما حدث فعلا، فالمستحيل الممكن خير من

الممكن نادر الحدوث، وذلك بمقدرة الشاعر أو الفنان على الإقناع)⁶.

6. (موضوع المحاكاة: الشاعر عند أرسطو لا يحاكي الأشياء ومظاهر الطبيعة وحسب

بل يحاكي أيضا الانطباعات الذهنية وأفعال الناس وعواطفهم، فالإنسان المحاكي

⁶ ينظر، د أحمد العدوانى، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية

https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

إما أن يكون مثاليا عظيما أو أقل مستوى، فالتراجيديا تحاكي المثاليين العظام،
والكوميديا تحاكي الأقل مستوى، وقد وضع أرسطو أن الشعر محاكاة لفعل
الشخصية لا للشخصية بحد ذاتها)⁷

7. (الشعر عند أرسطو يحاكي الحقيقة المثالية المجردة مما يجعله أقرب إلى روح

الفلسفة أو أعظم فلسفيا من التاريخ، فهو لا يشوه الحقيقة ولا يبتعد عنها بدرجات ولا
يناقض الفلسفة لكن يسعى إلى الكشف عن الحقيقة بطريقته ومنطقه الخاص.

8. لم يوافق أرسطو على ربط الشعر بقوى خارجة عن الطبيعة الإنسانية، بل جعل

الدافع له مرتبط بطبيعة الإنسان من خلال غريزة المحاكاة ومن ثم ربط الأدب والفن
بالطبيعة الإنسانية.

9. إن الشعر في نظرية المحاكاة ليس إلهاما خارجيا بل يرى أرسطو أن المحاكاة

بقدرته على الدربة والممارسة، فالشعر صنعة تقوم على الدربة والممارسة والشاعر
بقدر تمرسه يكون تفوقه.

10. يرى أرسطو أن الصراع بين الشعر والفلسفة صراعا مفتعل مبينا الطبيعة الفلسفية

للشعر فالشعر لا يروي أو يحاكي ما وقع بل ما يمكن وقوعه ومن ثم يكون الفرق بين
الشاعر والمؤرخ.

11. وظيفة الشعر تتمثل في تطهير نفس المتلقي، فالفن عموماً يساعد على تحقيق التوازن

داخل نفس المتلقي حين ينفره من الشر ويصور له الحق والخير طريقاً للسعادة وهنا

تكمُن وظيفة الشعر.

12. يرى أرسطو أن التراجيديا تنمي عاطفة الشفقة والخوف لتجعل المشاهد أكثر قوة من

خلال التطهير فهي تسمح لنا بتصريف عواطفنا المكبوتة (البكاء في التراجيديا

والضحك في الكوميديا) من تكون أكثر تواناً من الناحية العاطفية فتشعر بالراحة بعد

المشاهدة.

13. التراجيديا تجعلنا نرى الألم دون أن نعيشه كما في مسرحية أوديب ملكا، كما تجعلنا

نشعر بالسرور من خلال مقارنة عذاباتنا في الحياة بعذاب الشخصية في المسرحية

التراجيدية فنشعر بالراحة ونكون أكثر رضا بحالنا وانسجاماً مع حياتنا.

14. كما يجب ألا يكون البطل مثالياً بشكل مطلق بل مثلنا ليكون أكثر قدرة على التأثير

في المتلقي حين يحس بقربه منه، وقد فضّل المسرحية الشعرية لأنها تتضمن عناصر

الملحمة إضافة إلى الموسيقى والجمهور)⁸.

⁸ ينظر، د أحمد العدوانى، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية

https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html

بشكل عام

- (ركزت نظرية المحاكاة على اثر الشعر في المتلقي (وظيفة الأدب) من خلال المعيار الأخلاقي والوظيفة الاجتماعية ولم تركز على ذاتية الشعر وانفعاله وما إلى ذلك، بل كان محور اهتمامها منصبا على ما بعد النص.
- كان لأرسطو أثرا كبيرا في إعلائه للصنعة والتأثير في التوجيه الكلاسيكي للأدب
- استندت هذه النظرية على الفلسفة المثالية الموضوعية حيث يسعى الأدب إلى الارتقاء بعالم الحياة المعاش إلى الكمال وفق التصور الجمعي للمثالية
- ارتبطت هذه النظرية بالطبقة الأرستوقراطية وفق للتفاضل بين عالمي المثالي والمحسوس، أي التفاضل الاجتماعي بين الطبقة العليا والطبقة العامة، حيث مجدت المحاكاة القيم العليا لتلك الطبقة.
- ازدهرت هذه النظرية في عصر النهضة الأوربي وسيطرت على المشهد الأدبي حتى القرن الثامن عشر الميلادي وقام على تصورها المذهب الأدبي الكلاسيكي الذي يمجد القديم الجيد)⁹

⁹ ينظر، د أحمد العدوانى، تعريف نظرية الأدب حدودها، جامعة أم القرى، السعودية
https://lissanarab.blogspot.com/2019/03/blog-post_33.html